القيادة العامة لشرطة دبي
مركز البحوث والدراسات
العدد (٣٤)
أكتوبر ١٩٩٤م

ترجمات شرطية

الأسرة والجريمة*

ترجمة
الدكتور / محمد أحمد عبدالرحمن
مركز البحوث والدراسات - شرطة دبي

تشير الدراسات إلى أن هناك علاقة قوية بين اختلال توازن الأسرة وتفككها ودرجة تمسك الأبوين بالأخلاق القويمة والفضيلة، وبين شيوع الإجرام بين أفرادها.

● ما هي العوامل الأسرية التي تتصل بالجريمة؟

مع شيوع الإجرام في بعض الأسر، حاول الباحثون لسنوات عديدة معرفة السبب في ذلك، حيث قاموا بدراسة مدى اختلاف الأسر التي تعاني من مشكلة وجود أطفال جانحين عن تلك التي لا تعاني من هذه المشكلة، وقد وجدوا أن آباء الأطفال الجانحين يفتقرون إلى الالتصاق بأطفالهم، ويمارسون عليهم إشرافاً ضعيفاً، كما يقومون بتهذيبهم بصورة غير كافية أو غير مألوفة، فضلاً عن أن بعض آباء الصغار الجانحين أنفسهم لا يلتزمون بالقانون، ومن ثم يضربون لهم المثل بالسلوك المنحرف والقيم الفاسدة التي يمكن أن يجنح أبناؤهم إلى تقليدها.

وينمو الكثير من الصغار الجانحين في أسر تعاني ظروفاً صعبةً مثل الخلافات بين الوالدين أو الطلاق أو مرض أحد الوالدين أو الوضع الاجتماعي والاقتصادي المتدنّي. وهناك عدد قليل من الأسر يواجه كل هذه الظروف الصعبة مجتمعة، إلا أن عدداً كبيراً منها يواجه واحداً أو أكثر من هذه الظروف، وقد يسهم مزيج مختلف من هذه العوامل الأسرية في جنوح الأبناء.

وتنشئة الطفل في بيئة فقيرة أو كونه ابناً لأبوين مجرمين لا يؤدي بالضرورة إلى أن يصبح مجرماً، ورغم ذلك فهناك دلائل قوية تشير إلى أن الأطفال الذين ينشأون في ظروف صعبة تزيد احتمالات جنوحهم بشكل متفاوت، ومع أن الكثير من الأفراد الذين ينشأون في ظروف أسرية صعبة ليسوا مجرمين، فإن احتمال جنوح مثل هؤلاء الأطفال أكبر من أولئك الذين ينشأون في بيئة أسعد حظاً.

وقد ربط العديد من المؤشرات بين التفكك أو الضعف الأسري والسلوك الجانح، ويمكن استخدام هذه العوامل ذاتها للتنبؤ بأن طفلا ما سوف يصبح جانحاً.

وقد ظهرت تفسيرات مختلفة لبيان الارتباط بين أنماط الحياة الأسرية وأنماط السلوك الجانح، حيث يقرر بعض المحللين أن الارتباط إنما ينشأ عن الظروف الاجتماعية أو الاقتصادية التي تؤثر على سلوك كل من الأطفال والأبوين، بينما يذهب محللون آخرون إلى إلقاء اللوم على ضعف مهارات الأبوين، ولايزال البعض الآخر ينظر بعين الاعتبار إلى التفسيرات البيولوجية. وتشير بعض البحوث التي تتناول إجرام التوائم والأطفال بالتبني على سبيل المثال، إلى أن العوامل الوراثية قد تجعل لدى الأطفال استعداداً للجنوح، إلا أن العوامل الوراثية لا تشكل إلا مجرد جزء من التفسير، ومن المحتمل أن تكون كل هذه التفسيرات ذات معنى في حالات معينة وفي ظل توليفة متنوعة من الحالات.

ينمو الكثير من الصغار الجانحين في أسر تعاني ظروفاً صعبةً مثل الخلافات بين الوالدين أو الطلاق أو مرض أحد الوالدين أو الوضع الاجتماعي والاقتصادي المتدنّي، وهناك عدد قليل من الأسر يواجه كلّ هذه الظروف الصعبة مجتمعة، إلا أن عدداً كبيراً منها يواجه واحداً أو أكثر من هذه الظروف، وقد يسهم مزيج مختلف من هذه العوامل الأسرية في جنوح الأبناء.

* إعداد رولف لوبر، جامعة بتسبرج.

● مـــا السبب فيما يحدث داخل الأسرة؟

قد يبدو أن تفسيرات الجنوح التي تركز على الآبـاء وسلـوكهم كـآبـاء لا تضع في اعتبارهـا إلا جـانباً واحـداً، ولاشك أن التفسير الكـامل للجنـوح ينبغي أيضـاً أن يتضمن العـوامل البيولـوجية والاجتماعية والبيئية وغيرهـا من العـوامل. فـالأطفـال يرثون نصيباً من الصفات المتعلقة ببنيتهم مثل الذكاء والميول العدائية وفرط النشاط، وتتـولى بيئتهم الاجتماعيـة - في المنـزل أولاً وفي المدرسـة بعـد ذلك - صيـاغـة هـذه الصفـات على مر الـزمن، إلا أن هنـاك دلائل قـويـة على أن أسلـوب الأبـوين في تنشئـة وتهذيب أطفالهما له تأثير مهم ومستقل على سلوك الأطفال.

ولا تتسـاوى جميع البيئـات المنزليـة في صـلاحيتهـا للتعـامل بصـورة فعـالـة مع الصغـار الذين يقعـون في إحدى المشكـلات السلوكية في مرحلة مبكـرة من العمر. فالآباء يختلفون إلى حد كبير فيما لديهم من مهارات لتنشئـة أطفالهم، حيث يتميـز بعض الآبـاء بالشدة وحـدة الطبع والتقلب بصورة مبالغ فيها، في حين يبالغ البعض الآخر في التساهل أوالتهاون أو الانشغـال بأمورهـم الخاصة. وقـد تـوصل عـدد من الـدراسـات إلى أن ممارسات الآباء في تنشئـة أبنائهم - صالحة كانت أم فاسـدة - تتميز بثبات نسبي، وأن المشكـلات السلوكيـة المبكرة والمتأخـرة إنما تتصل بكيفية تنشئة الصغار.

ويـركـز البـاحثـون والأطبـاء وخبراء التربيـة اهتمامهم - بشكل متـزايـد - على المشكلات السلوكيـة عند الأطفال في المراحل المبكرة من العمر أكثر من المراحل المتأخرة.

ويـرجع السبب الأسـاسي في ذلك إلى أن أغلب الأطفـال يتعلمـون السلـوك المنحـرف دون اعتراض عليه في منزل الأسرة قبل وقت طويل من احتكاكهم بأصدقـاء السوء، وإذا كان من الممكن إصلاح أو منع الظروف التي تجعل لدى بعض الأطفـال استعداداً للجنوح كـان هناك أمل في إمكـانية تقليل المشكـلات السلـوكيـة المتأخـرة. وهنـاك سبب آخـر للتركيـز على الطفـولـة المبكـرة هـو أن تعلم السلـوك المنحـرف يبـدأ بـالـدرجـة الأولى تأسيساً على نوعية وحجم التفاعل بين الآباء والأطفـال، حيث يشيع الكثير من أشكـال الجنوح وسـوء السلوك الخطـر بين الأطفال الـذين ينشأون في أسر مفككـة أو وسط ظـروف الفقـر والحرمـان المادي أكثر من الأسر التي لا تعـاني من هذه السلبيـات، إلا أن المشكلات السلـوكية تبدو أكثر وضـوحاً في الأسر التي تضعف فيها مهارات الأبوين.

وهناك أدلة كثيرة تشير إلى وجـود صلة قوية نسبياً بين المشكـلات السلوكية المبكرة للصغار وجنوحهم في مرحلـة متأخرة، فمثلاً من المعـروف أن الكذب المبكـر وروح التمرد والعـدوان والتغيب عن المدرسة واستخـدام المخـدرات تعد مـؤشرات على ظهور درجـات متفاوتة من الجنوح بعد مرور أعوام عديدة، ويكمن الـدليل على ذلك بشكل أسـاسي في التجـارب التي شملت الأطفـال البيض من الذكور؛ فأغلب البحوث التي تناولت الجنوح والتي ركزت على مـرحلة الطفولـة المبكرة لم تشمل الإنـاث البيض أو أطفـال الأقليـات، وعلى أيـة حـال، فـالأسبـاب التي تـدعـو لـلاعتقـاد بأن هـذه النتـائج لا تنطبق على الإنـاث البيض وأطفـال الأقليـات أسبـاب قليلـة، ويبـدو أن تعـديل الكثير من الأنماط السلـوكيـة التي تمثل مشكلـة يكـون أكثر سهولة عندمـا يكون الطفل صغيراً، ويكون أكثر صعوبـة عندما يرسـخ السلوك على مر الزمن.

ويمكن أن تقع تغيرات هـامـة في نوعيـة التفـاعـلات التي تحدث بين أفـراد الأسرة عندما يتـزايد سوء سلوك الطفـل أو جنوحه بمـرور الـوقت، ويشتـاط الكثير من الآبـاء غضبـاً وينفد صبرهم مع الطفل الـذي يصر على إثـارة المتاعب، أو يصـابون بخيبـة أمل عندما يدركون عجـزهم عن الثقة فيما يقوله لهم الصغـار، وقـد يتصـاعـد الخلاف بين الآبـاء والأطفـال على مـر الـزمن ويصبح الطرفان أكثر ابتعاداً وانفصالاً.

أغلب الأطفال يتعلمون السلوك المنحرف دون اعتراض عليه في منـزل الأسرة قبل وقت طـويل من احتكاكهم بأصدقاء السوء.

ويتمثل أحـد مـلامـح التطـور المعـادي للمجتمع عنـد الصغـار في أنهم غـالبـاً مـا يـوجهـون سلـوكهم المعـادي للمجتمع - خـاصة العـدوان والكـذب - نحو والـديهم، ونتيجـة لذلك يصبح الأبوان أقل قـدرة على ممارسـة سلطتهم الأبـوية، وقـد يتخليان - بـواقع الحال - خـاصـة مع الأطفـال الأكبر سناً - عن مسـؤولياتهما الأبوية.

وقد أكد الأطباء والبـاحثون على إمكانية تحسين أسـاليب تنشئة الأطفال غير الكافية، بصرف النظـر عما إذا كـانت المهـارات غير كـافية منـذ البدايـة أو كانت قـد تدهـورت بسبب سلوك الصغار المعادي للمجتمع.

وتتمثل الفكرة الأسـاسية في أن التحسن الذي يتم إدخاله على أسـاليب تنشئة الأطفال يمكن أن يؤدي إلى تحسن في سلـوك الصغار الذي يمثل مشكلة.

● ما الدليل على تدريب الآباء ؟

لم يبـدأ التقييم المنظم لتدريب الآبـاء إلا منـذ بضعـة عقود قليلـة مضت، ومنـذ ذلك الوقت، أثبت عدد من الـدراسات أن الدورات التدريبية التي يتم الإعداد لها جيداً يمكن أن تسـاعد الآبـاء على تحسين أسـاليب تنشئـة أطفالهم، الأمـر الذي يمكن أن يحقـق بدوره تحسنـاً في سلـوك الأطفـال، ورغـم تنـوع بـرامج تـدريب الآبـاء فإن أغلبهـا يتميـز بالملامح التالية:

- تعليم الآباء كيفيـة التعرف على المشكلات السلوكية لأطفالهم.
- تعليم الآبـاء كيفية تطبيق عقـوبات أكثر مـلائمـة بسبب سـوء السلـوك، حيث يجري تشجيعهم على تقليل اللجـوء إلى التعنيف الشـديـد وزيـادة استخـدام العقـاب غير البـدني، مثل الحرمـان من

المزايا في الوقت الذي يتم فيه مكافأة السلوك البنّاء.

- تعليم الآباء كيفية مناقشة حل المشكلات خاصة مع الأبناء الأكبر سناً.
- تعليم الآباء كيفية الإشراف على أطفالهم عن قرب لمعرفة من يترددون عليهم وأصدقائهم والاطلاع على أنشطتهم.

وقد حققت هذه البرامج حتى الآن نجاحاً متميزاً في التعامل مع الروح العدوانية لدى الأطفال، حيث أثبتت الملاحظة الدقيقة للأسر قبل وأثناء وبعد تدريب الآباء انخفاض الروح العدوانية بشكل ملحوظ لدى الأطفال في غالبية الدراسات. وهو الأمر الذي أكده الآباء أنفسهم.

وقد ركزت أغلب البرامج التدريبية الموجهة للآباء الطبيعيين على الصغار الذين لا يزالون في مرحلة ما قبل المراهقة أكثر من أولئك الذين يعيشون مرحلة المراهقة بالفعل.

فمن المرجح أن يكون تدريب الآباء أكثر فاعلية عندما يكون الأطفال صغاراً، وفي منتصف مرحلة المراهقة قد يصبح السلوك أكثر رسوخاً أو أكثر خضوعاً لتأثير الأقران حتى إنه لا يمكن إحداث أية تغييرات إلا ببذل جهود غير عادية.

كما ركز اتجاه آخر على أسلوب الآباء الذين يتعاملون – لفترة زمنية ما – مع الصغار مثيري المشاكل الذين يعجز أباؤهم الأصليون عن تنفيذ واجبات الأبوة، وعادة ما يُطلق على هذه البرامج الرعاية المتخصصة للأطفال (Specialized Child Care) لأن الآباء البدلاء يتم تدريبهم بصفة خاصة لأداء هذه المهمة، ويجري استخدام الكثير من المبادىء السابق عرضها في تدريبهم، هذا بالإضافة إلى أنه يتم تعليم الآباء كيفية إنشاء علاقة إيجابية مع الصغار، فضلاً عن كيفية تنشئة الأطفال ليكونوا أعضاء صالحين في المجتمع وذلك من خلال العقد المبرم مع الأب البديل.

وفي البرامج التدريبية غالباً ما يجري تقديم المساعدة للآباء في مهامهم الصعبة من قبل مجموعة أخرى من الآباء والمشرفين العاملين بالبرامج، حيث تبدو جهود كل منهما باعتبارها أساليب حيوية وإنسانية في التعامل مع الأطفال الذين يثيرون المشاكل أكثر من الإيداع في مؤسسة، وهو الإجراء الذي قد يمثل البديل الوحيد الآخر بالنسبة لبعض الأطفال.

● ما مزايا تدريب الآباء والقيود التي ترد عليه؟

رغم أن تدريب الآباء الطبيعين يُعَد من بين أكثر الأساليب التي تبشر بالخير في التعامل مع المشكلات السلوكية لدى الصغار، إلا أنه لاتزال هناك عدة أساليب أخرى، فمثلاً إننا لا نعرف ما يكفي عن تأثير تدريب الآباء على اختفاء السلوك المعادي للمجتمع لدى الصغار، وقد أظهر عدد قليل من الدراسات أن تدريب الآباء يمنع أو يقلل ما قد يوجد من جنوح أو استخدام للمخدرات لدى الصغار.

ورغم أن برامج تدريب الآباء تبشر بالخير كأسلوب للتعامل مع المشكلات السلوكية خاصة لدى الأطفال الذين مازالوا في مرحلة مبكرة جداً من العمر، إلا أن هناك أساليب هامة يتعيّن حسمها قبل أن نستطيع أن نقرر أن تدريب الآباء يمكن أن يلعب دوراً أساسياً في منع الجنوح. فمثلاً نجد البرامج الحالية مكلفة تماماً، وليس لدى الكثير من الآباء تأمين يغطي هذه البرامج، كما أنهم لا يملكون القدرة على تحمل تكلفة مشاركتهم أو مشاركة أبنائهم فيها، وبذلك يكون توقع إمكانية وصول برامج تدريب الآباء إلى قطاع كبير من آباء الأطفال ذوي المشكلات السلوكية أمراً غير واقعي، فضلاً عن عدم معرفة المدة التي يستمر خلالها الأثر الإيجابي للتدريب.

إننا بحاجة إلى معرفة الكثير عن مدى تأثير تدريب الآباء على أسر الأقليات، فأغلب البرامج التدريبية يتم تنفيذها على الأسر البيضاء، ذلك أن البرامج المناسبة للأقليات من الناحية الثقافية لم يتم وضعها بعد، وأخيراً، هناك نسبة من الآباء ليست مستعدة على الفور للمشاركة في هذه البرامج، كما أن البعض منهم قد يلتحقون بأحد البرامج التدريبية إذا ما تم تذليل بعض العقبات مثل رعاية أطفالهم أثناء حضورهم هذه البرامج، فضلاً عن أن البعض الآخر قد يحتاج إلى توعيته من خلال حملات دعائية بشأن مزايا تدريب الآباء.

إلا أن هناك مجموعة أخرى من الآباء مشغولة أو غير قادرة تماماً على حضور برامج تدريب الآباء، الأمر الذي يؤكد على أهمية البرامج البديلة مثل برنامج زائري المنازل الذي يتم من خلاله إجراء التدريب أو تقديم الرعاية البديلة المتخصصة بالمنازل، ورغم وجود بضع دراسات تقييمية قليلة بشأن تأثير الرعاية البديلة على سلوك الأطفال، إلا أن نتائجها الأولية تبشر بالخير.

ولعل اللجوء إلى أساليب وقائية محضة يجعل من الممكن تماماً تدريب الآباء على المهارات التي يمكن أن تساعدهم على تقليص المشكلات السلوكية المبكرة لدى أطفالهم قبل أن يصبح من الصعب السيطرة عليها، ومن سوء الحظ فإن هذه الأساليب الوقائية لم يتم بحثها بعد، إلا أن برنامج «بري «لمرحلة ما قبل المدرسة Perry Pre-school Program، الذي وضعه برتا – كليمنت Berruetta - Clement، وشواينهارت Schweinhart، وبارنيت Bernett وإبيستاين Epstein، وويكارت Weikart عام ١٩٨٤م، وهو البرنامج الذي حقق نجاحاً كبيراً في منع الجنوح كان

صدر حديثاً

المدخل إلى التخطيط الشرطي

تأليف الدكتور

فريدون محمد نجيب

يتضمن جانباً يركز على الآباء بالإضافة إلى البرنامج المكثف لمرحلة ما قبل المدرسة.

● ما دور الحكومة؟

من المؤكد أن الحكومة تلعب دوراً محدوداً في تدريب الآباء وإدماج الأطفال في المجتمع، فلا يمكن أن ننتظر من الحكومة تحمل المسؤولية عن تنشئة الأطفال وتعليمهم كي يمتنعوا عن اتباع سلوك معاد للمجتمع أو انتهاج سلوك يقبله المجتمع، حيث إنه أمر يتطلب صبراً ورعاية على مدى سنوات طويلة، وهو عملية دخيلة على العلاقة بين الآباء وأطفالهم ومن المستبعد أن تجري التنشئة في إطار آخر خارج نطاق الأسرة.

ويُبدي بعض الباحثين في مجال دور الأسرة في المجتمع الأمريكي تخوفهم من أن يرتب التدخل الحكومي في الحياة الأسرية أضراراً أكثر مما يمكن أن يرتبه من فوائد، حيث يقررون – على سبيل المثال – أن بعض برامج الخدمة الاجتماعية والرفاهية الاجتماعية يمكن أن تؤدي إلى هدم الأسر التي كان يمكن أن تواصل تماسكها، إلا أنه من الممكن تفهم التدخل الحكومي الذي يمكن أن يساعد الأسرة على أداء وظيفتها بشكل أفضل وتحقيق مزيد من النجاح في تنشئة الأطفال.

وتهدف الجهود الحكومية الحالية بدرجة كبيرة إلى تحسين البيئة التي يعيش فيها الأطفال ويكبرون فيها، وذلك من خلال تحسين المدارس والمساكن والتغذية، وقد تم تحقيق مكاسب كبيرة في هذا الصدد – رغم أنها لم تشمل جميع الطبقات – إلا أنه ليست لدينا الوسيلة لتقرير ما إذاكان هذا التدخل قد حال دون جنوح بعض الأطفال أو تفكك بعض الأسر.

ويمكن أن تُبذل الجهود الحكومية مباشرة كمحاولة لتحسين أداء الأسرة لوظائفها، فمثلاً، يمكن أن تُبذل الجهود لمساعدة أجهزة المجتمع على إنشاء جماعات لدعم الآباء وتخصيص خطوط هاتفية لتقديم النصيحة لهم وإجراء تدريب جماعي لتنمية مهاراتهم، ووضع برامج منخفضة التكاليف تهدف إلى تحقيق استقرار الأسرة، ويمكن توجيه برامج تدريب الآباء لآباء المستقبل خاصة آباء الأطفال الذين يُعدون من الفئات الأكثر تعرضاً للجنوح، ويناسب هذا بوجه خاص الوالد الوحيد أو آباء الأطفال حديثي العهد بالمشي الذين تبدو عليهم علامات النشاط المفرط أو السلوك التخريبي، ويمكن تدريب أطباء الأطفال والممارسين العامين وغيرهم ممن يقدمون خدمات للطفل تدريباً أفضل للتعرف على المشكلات السلوكية التي تتيح التدخل وتقديم المشورة للآباء بشأن كيفية حصولهم على المساعدة في هذا الصدد.

وهناك برامج مكثفة بشكل أكبر يمكن قصرها على الأسر التي تحتاج أشكالاً أكثر تركيزاً من التدخل بسبب ما يصدر عن أطفالهم من مشكلات سلوكية فريدة، أو إذا كانوا يقاومون التقويم بصورة أشد، كما يمكن أن يقوم المتخصصون بإعطاء الآباء الطبيعيين تدريباً منفرداً، وكذا يمكن وضع الأطفال لدى أسر الرعاية البديلة.

ويمكن إجراء كل هذه التحسينات على أساس تطوعي دون التأثير على استقلالية الأسرة، ويجري الآن استخدام جزء من الاعتمادات المالية الحالية في التعامل مع الصغار الجانحين أو المعادين للمجتمع أمام القضاء وفي المدارس، ويمكن استخدام المجتمع كقناة في سبيل تطوير التدخل الوقائي.

ومجمل القول أن كلاً من أجهزة الحكومة والمجتمع يمكنهما مساعدة الأسر لتؤدي وظيفتها بصورة أفضل وتنشىء أطفالها بأساليب من شأنها تقليص فرصة انجرافهم إلى أشكال خطيرة من الجنوح، وبالتالي الوقوع في براثن الانحراف.

لابد من تعاون الأجهزة الحكومية والجمعيات الأهلية وتكامل جهودهما في مجال الإرشاد الأسري ووقاية المجتمع من الجناح.

● أسئلة للمناقشة

١ – ما هي الأسس المنطقية التي تبرر اللجوء إلى تدريب الآباء كأداة للحد من الجنوح ؟

٢ – أي أشكال القصور الأسري يكون أكثر قابلية للتحسن نتيجة لتدريب الآباء؟

٣ – كيف يمكن مساعدة الآباء لمنع جنوح أبنائهم ؟

٤ – ما هو الأسلوب الأمثل الذي يمكن أن تنتهجه الحكومة لدعم قدرة الأسرة ومساعدة الوالدين في التعامل مع أطفالهم الذين ترشحهم صفاتهم ليكونوا أكثر تعرضاً للجنوح؟

٥ – هل يتعين على الحكومة تقديم اعتمادات مالية لدعم برامج تدعيم الآباء وغيرها من البرامج التي تهدف إلى تحسين أداء الأسرة؟

الندوة المرورية الثالثة

ينظم مركز البحوث والدراسات، بشرطة دبي، الندوة المرورية الثالثة يومي الثلاثاء والأربعاء ٢٤، ٢٥ يناير ١٩٩٥م.